المحاضرة الثالثة: الحركة الوطنية الجزائرية والقضية الفلسطينية ما بين الحربين العالميتين (1919- 1939)

مع تطور القضية الفلسطينية ما بين الحربين العالميتين (1919 - 1939) نتيجة ما حصل في هذه الفترة من تزاوج بين الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية، اللذان سعيا بكل الوسائل من أجل زيادة هجرة اليهود لفلسطين وتشجيعا تنفيذا لوعد "بلفور" القاضي بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ورغم الظروف التي كان يعانيها الجزائريون تحت وطأة الاستعمار الفرنسي من قهر وظلم وقوانين جائرة، إلا أنهم لم يكونوا غائبين عن القضية التي كانت تمثل بالنسبة لهم قضية مقدسة لكل المسلمين فتفاعلوا مع تطوراتها، حتى أن المصادر الاستعمارية قد لاحظت أن موقفهم كان أكثر حدة وتجاوب مع القضية الفلسطينية مقارنة بإخوانهم في بلدان المغرب العربي، نظرا لما عانوه من ويلات الاستعمار الفرنسي، وهو التفاعل الذي سنحاول الوقوف عليه من خلال الاهتمام الكبير الذي أولته الحركة الوطنية الجزائرية لقضية فلسطين بالخصوص في فترة الثلاثينات من القرن الماضي.

1 – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

عبر رجال الإصلاح عن مناصرتهم للقضية الفلسطينية ونصرتهم لإخوانهم للفلسطينيين حتى قبل تأسيس جمعيتهم – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – عام 1931 فقد عرض الشيخ "عبد الحميد بن باديس" في مجلة (الشهاب) في عددها لشهر سبتمبر 1929تفاصيل حادثة حائط المبكى التي وقعت بين اليهود والمسلمين في يوم 15 أوت 1929 وعن تطاول الصهاينة واستفزاز المسلمين في عقر دارهم، وأرجع حدوث مثل الوقائع الدموية كله إلى وعد بلفور المشئوم بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود. ثم وقف ابن باديس في العدد الموالي على نقل أخبار توقف القتال بين المسلمين والصهاينة ووضح أن مراميهم من هذه المكيدة هي مرامي سياسية واقتصادية، كما عبر عن اعجابه وتكبره لدور مفتى القدس الشيخ "أمين الحسيني" مفتى القدس في ايقاف هذه الفتنة، وأشار إلى لجنة البحث التي شكلتها الحكومة الإنجليزية التي توقع لها وقال: أنها لن تعدل عن وعد بلفور رسميا. وأعلن في صفحتها الموالية بيانا يعبر عن موقف الجزائريين من هذه الحادثة جاء عنوانه: ((المسلمون الجزائريون وفضائع فلسطين)) ويقول نصه ما يلي: ((المسلمون الجزائريون

يستنكرون بألم وأسف ما جرى من التعديات الصهيونية على حائط المسجد الأقصى الذي هو أحد مساجدهم الثلاث حتى جرى ذلك إلى سفك الدماء في تلك البقاع المقدسة عند الملل كلها. ويرفعوا على ذلك احتجاجهم إلى حكومتهم الفرنسية التي يحق لها بما تحت رعايتها من أمم اسلامية أن ترفع صوتها محتجة لا يقاف كل تعد يمس عواطف رعاياها في حرم هو من أعظم مقدساتهم. ويعتبرون احتجاجهم هذا موجها ضد أولئك الصهيونيين دون سواهم من جميع اليهود، وإلى فرنسا وحدها دون غيرها من الدول، واعرابا عن شعورهم الديني الانساني دون أي اعتبار آخر)).

وفي عقد الثلاثينات؛ ومنذ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يتوان قادتها في توظيف كل الوسائل لنصرة القضية الفلسطينية، فكانت الصحافة سواء التي كانت تصدر باسم الجمعية أو باسم قادتها تخص حيز هاما في صحافتها المقالات والاحتجاجات ضد الدول الاستعمارية ولا سيما الإنجليز الذي حملتهم مسؤولية احتلال فلسطين، ومحنة الفلسطينيين نتيجة جرائم الصهاينة العالمية التي أزهقت الأرواح، ويتمت الأطفال ورملت النساء، وخربت الديار في ذلك القطر العربي. كما كانت هذه الصحافة تنقل وتنشر أخبار العنف والاضطهاد التي يتعرض له أبناء فلسطين بعناوين بارزة، فكانت القضية الفلسطينية من أهم القضايا العربية والإسلامية التي تناولت تطورها بالنقاش والتحليل وخصت لها افتتاحيات ضافية وأبواب دائمة لدراسة طبيعة القضية وأهمية فلسطين التاريخية والقومية للأمة العربية والإسلامية.

فقد عبر قادة الجمعية عن مواقفهم في هذه الفترة من القضية الفلسطينية وتطوراتها، وكانت دعوتهم لنصرتها واضحة وصريحة، فقد اعتبر الشيخ "ابن باديس" رحاب القدس مثل رحاب مكة والمدينة وإن التزاوج بين الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية نتج عنه نزوح كمشة يهودية، حولت هذه البقعة إلى جحيم، وأكد أن الدفاع عن القدس واجب على كل مسلم. وأما الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" فقد دعا القيادات العربية إلى الاتفاق وابعاد الخلاف، وحث خطبائهم وكتابهم بتحريك مشاعر وعواطف المسلمين من أجل القضية الفلسطينية. أما الشيخ "الطيب العقبي" اعتبر قضية فلسطين مأساة عامة وكارثة عظمى حلت بالعالم الإسلامي كله والعرب أجمعين، واتهم عصبة الأمم بالتآمر على القضية الفلسطينية. كما رأى الشيخ "أحمد توفيق المدني": أن هذه القضية لاتهم الفلسطينيين وحدهم بل تهم الأمة العربية والإسلامية جمعاء. واعتبر الشيخ " أبي يعلى

الزواوي" الانتداب البريطاني على فلسطين اعتداء وجور، لا يجوز شرعا ولا قانونا عند جميع الأم الدائنة بالشريعة السماوية أو الدائنة بالقوانين الوضعية، وأنه من حق الفلسطينيين أن يحاكموا بريطانيا في محاكم دولية.

وعلى اثر اقدام الاستعمار الانجليزي بعد انتفاضة 1930 بتطبيق حكم الإعدام في بعض الشهداء العرب في فلسطين كتب الشيخ "ابن باديس" مقالا يرثى فيها أولئك الشهداء بعد الدفن قائلا: ((لم تدفن في تلك القبور الثلاثة جثث الأبطال الخالدين، كلا لقد دفن أولئك في القلوب العربية الدامية، وإنما دفن في تلك القبور أبديا هو سياسة حسن الظن في الإنجليز)). وهو الأمر الذي كتب عنه الشيخ "أحمد توفيق المدني" في (الشهاب) قائلا: ((الحادثة لا تعبر بداية الحزن وإنما فاتحة النضال العنيف، فاتحة الاستشهاد والتضحية والتحرر)).

بخصوص جريدة (البصائر) لسان حال الجمعية فإنها خصصت قسما خاصا بالعالم الإسلامي تحتل فيه القضية الفلسطينية مكانة معتبرة وأنها يتوقف عليها مدار السلام العالمي. ومن مظاهر اهتمامها بها نشرها البيانات والاعلانات الخاصة بالقضية، والنداءات والبيانات الخاصة بالجمعيات والمنظمات مثل بيان (اللجنة الفلسطينية العربية) من أجل الدماء وصيانة الحقوق في فلسطين، والإنذار الذي أصدرته (لجنة الدفاع عن فلسطين في سوريا) إلى رئيس اللجنة الصهيونية وإيزمان.

كما خصص الشيخ "أبو اليقظان"جزءا كبيرا من صفحته الثانية جريدة (الأمة) المتعلقة بالعالم الإسلامي لقضية فلسطين، وبنقل أخبارها في كثير من الأحيان من صحف مشرقية كمجلة (الفتح) "لمحب الدين الخطيب" أو جريدة (الشورى) "لمحمد علي الطاهر" في مصر، وكان ينشر جل بيانات اللجنة الفلسطينية، كما اعتبر "أبو اليقظان" ضعف المسلمين وتفكهم هو الذي أدى بالصهاينة للسعي بتأسيس دولة يهودية في مركز "سليمان عليه السلام".

وعندما عقد مؤتمر القدس في ديسمبر 1931 الذي شارك فيه الجزائريون وحضره الشيخ "أبو اسحاق ابراهيم أطفيش" وترأسه "الحاج أمين الحسيني" اهتمت صحافة جمعية العلماء بوقائعه ونقل أخباره وقالت عنه جريدة (النور) أنه جوابا قاسيا لدعاة

الصهاينة، وهو ليس موجه لليهود وإنما ضد الصهيونية التي أساءت وأزعجت المسلمين في أعز مقدساتهم.

ونتيجة لاستمرار سياسة التهويد الانجليزية في فلسطين بزيادة هجرة اليهود، الذين بلغ عددهم في سنة 1935 إلى (61.854 يهودي) بنسبة 30 % من مجموع سكان فلسطين، زاد معه الخطر الصهيوني، مما أثار مشاعر مخاوف الفلسطينيين فانتشرت الاضطرابات والمظاهرات في جميع المدن الفلسطينية وبات الفلسطينيين على أبواب ثورة عارمة منذ شهر أفريل 1936 بإشراف (اللجنة العربية العليا) برئاسة "الحاج أمين الحسيني". استخدم اليهود والانجليز جميع الوسائل لإخمادها، من ذلك رمي القنابل على جموع الفلسطينيين بعد خروجهم من المسجد الأقصى، الأمر الذي تسبب في استشهاد ثمانين شهيدا فلسطينيا، وفي شهر أخر سقط ما يزيد عن خمسة مائة شهيدا آخر، وهي الأعمال التي اعتبرها الشيخ "أحمد توفيق المدني" وصمة عار لبريطانيا في تاريخها.

ومن جهته؛ قام الشيخ "ابن باديس" تزامنا وانعقاد المؤتمر الإسلامي في جوان 1936 بفتح اكتاب لجمع الأموال لتدعيم عرب فلسطين، وقدم طلب رخصة في ذلك من السلطات الاستعمارية الفرنسية، ونظم اجتماعا لأعضاء الجمعية بنادي الاتحاد بمدينة قسنطينة يوم 18 جوان من نفس السنة، وذلك بهدف تكوين لجنة تتكفل بجمع الأموال وإرسالها إلى الفلسطينيين، وزعت قوائم الإمضاء بين الشباب المسلمين ومحبي الخير، والمتعاطفين مع القضية الفلسطينية، وكان لهذه القضية صداها في الأوساط الشعبية، وعمل المسلمون الجزائريون على تحدي السلطة الاستعمارية الفرنسية وقراراتها المضادة للقضية الفلسطينية والتي أمرت بمنع توزيع أي منشور يتعلق بفلسطين، وظهر ذلك التحدي في وجود الكثير من المناشير تحمل عنوان (على هامش أحداث فلسطين) تباع في الأكشاك بمدينة قسنطينة.

وبعد انتهاء ثورة 1936 بتدخل أمراء وملوك العرب الذين طالبوا الفلسطينيين أن يضعوا السلاح لحل المشكل بالطرق السلمية، وإرسال بريطانيا في 11 نوفمبر 1936 لجنة التحقيق، المسماة باسم لجنة "بيل" التي نشرت الحكومة البريطانية في 7 جويلية 1937 تقريرها الذي ذكر لأول مرة تقسيم فلسطين، واعتبره الحل الوحيد لقضية الفلسطينية، وهو المشروع الذي مثل صدمة عنيفة لرّأي العام العربي والإسلامي.

وأمام هذا التواطؤ الاستعماري الانجليزي، رفضت الجمعية مشروع التقسيم بإرسال عدة رسائل وبرقيات احتجاج وتنديد ضد المشروع، منها رسالة باسم رئيسها الشيخ "ابن باديس" إلى وزير الخارجية الفرنسي يعرب له فيها عن رفض الجمعية لهذا المشروع وتعتبره تحدّ لشعوب العربية والإسلامية وانتهاكا لأراضي المقدسة، كما وجهت الجمعية برقية أخرى ماثلة لوزير الخارجية الفرنسي بغرض التدخل لدى عصبة الأمم المتحدة لإيقاف مشروع تقسيم فلسطين، وهذا لتحفظ فرنسا مكانتها وسمعتها في العالم العربي والإسلامي. كما ساهمت أيضا الجمعية رفقة حركات أخرى في توجيه عدة رسائل وبيانات، عن طريق لجان المؤتمر سنة 1937، حيث أعلنت الهيئة التنفيذية له في 29 أوت 1937 تضامنها مع الفلسطينيين، وطالبت فرنسا بالتدخل لدى عصبة الأمم المتحدة لرفض هذا المشروع وأعلنت سخطها لأعمال الصهيونية الإجرامية في فلسطين.

استمرت دعوة جمعية العلماء في مساندتها لعرب فلسطين بين سنوات 1936 - 1938 حين ظهرت إلى الوجود (لجنة إغاثة فلسطين العربية) برئاسة الشيخ "الطيب العقبي" ونتج عن ذلك انتشار الوعي في أوساط الجزائريين بالقضية الفلسطينية، وكثرت التبرعات المالية لصالح العرب ضحايا الصهيونية، ولم يقتصر جمع الأموال على المدن الجزائرية الرئيسية والتنديد بتصرفات الاستعمار الانجليزي في فلسطين، وإنما تعداه إلى توزيع قوائم الاكتاب سريا في المدن الجزائرية الساحلية والداخلية، وأعطت الجمعية أوامرها إلى الشيخ "الفضيل الورتيلاني" مثلها في باريس والشيخ "السعيد صالحي" مثلها في مرسيليا لمواصلة الدعوة لنفس الغرض.

كما كانت الجمعية تؤيد كل نشاط من شأنه العمل لصالح فلسطين، فعندما عقد (المؤتمر البرلماني من أجل فلسطين) برئاسة "محمد علوية باشا" في شهر أكتوبر 1938أرسلت الجمعية برقية إلى رئيسي المؤتمر تؤيد وتوافق على الرأي الذي يتوصل إليه المؤتمر. ونظمت الجمعية أيضا (يوم فلسطين) تلبية لنداء علماء الأزهر الشريف يومي 22 و23 و24 سبتمبر 1938 النداء الذي لباه المسلمون في جميع أنحاء العالم. كما شاركت الجمعية في المؤتمر العالمي الثاني في فرنسا باريس خلال أيام 22 و23 و24 جويلية 1938 الذي حضره ستة مائة (600) مندوب من أربعين إقليم، وتم فيه عرض القضية الفلسطينية ومن الذين خطبوا فيه، الشيخ "الفضيل الورتيلاني" أحد رواد جمعية العلماء المسلمين، وأكد فيه رفضه للسياسة البريطانية.

2 – نجم افريقيا الشمالية وحزب الشعب الجزائري:

بدت مواقف نجم افريقيا الشمالية وخليفته حزب الشعب الجزائري بعد حله في أوائل سنة 1937، اللذان مثلا التيار الوطني الاستقلالي في عقد الثلاثينات من القرن الماضي من القضية الفلسطينية وتطوراتها واضحة، فالنجم الذي ظهر إلى الوجود في باريس عام 1926، تقول عنه تقارير الشرطة الفرنسية التي كانت تتابع نشاطه، أنه كان متعاونا مع اللجنة (السورية الفلسطينية) التي كان يتزعمها الأمير "شكيب أرسلان".ويؤكد المؤرخ الفرنسي "جوليان" أن رئيسه "مصالي الحاج" قد حضر العديد من المؤتمرات المساندة للقضية الفلسطينية منها مؤتمر القدس في شهر ديسمبر 1931. وتقول عنه مراجع أخرى أنه وفي إطار هذا المسعي قام عام 1936 بتجمع حاشد مؤيد للقضية.

كما كانت جريدة (الأمة) التي أنشأها النجم سنة 1930 في باريس باللغة الفرنسية واستمرت رغم التعثر إلى غاية 1939 باسم حزب الشعب الجزائري تخصص قسما في صفحاتها أطلقت عليه (عبر الشرق الإسلامي)، وتناولت فيه أخبار الشعب الفلسطيني ومقاومته ضد الاحتلال الانجليزي والاستيطان اليهودي، والمتابعات البوليسية ضد أبناء فلسطين. كما اعتبرت القتال في فلسطين جزء من المعركة العامة للأمة العربية وليس كفاحًا معزولاً لأن العدو الحقيقي ليس حركة سياسية منفردة، بل هي كتلة متكاملة تعمل ضد الأمة العربية، وهي الامبريالية، وعلى الرغم من البعد الجغرافي بين فلسطين والجزائر إلا أنه تجمعهما معركة واحدة، وقالت في موضع أخر: أن الكفاح ضد اليهود ليس لكونهم يهودًا، وإنما ضد الصهاينة والإمبريالية، فالصهاينة يريدون إبادة الشعب الفلسطيني من أجل اغتصاب أرضه ليست لهم على الإطلاق. كما أكدت بأن السلام الحقيقي لا يمكن أن يكون في فلسطين إلا بالاعتراف بالحق الشرعي للشعوب والاعتراف الواضح باستقلال فلسطين، ولا يمكن للكفاح أن يتوقف إلا بالاعتراف بالمطالب المشروعة والعادلة لفلسطين وهي:

- الإلغاء الفوري للهجرة اليهودية.
- تجريد الصهاينة من الأسلحة.
- اعتقال كل الصهاينة الإرهابيين.

إطلاق سراح كل المسجونين العرب والمعتقلين السياسيين.

وكامتداد لموقف النجم واصل حزب الشعب الجزائري نشاطه ودعمه لقضية الفلسطينية عبرت عنه جريته (الشعب) في عددها الأول (أوت 1937) عمليا أيضا في اطار (لجنة الدفاع عن فلسطين) بفتح اكتتاب عام يوجه محصوله للفلسطينيين، وأعلنت بأنها بصدد إرسال ما تحصلت عليه يوم 01 سبتمبر 1937، وفي السادس عشر من هذا الشهر أرسلت ما قيمته خمسة ألاف وستة مائة وأربعين فرنك (5.640 ف)، واحتجت هذه اللجنة لدى الحكومة الفرنسية من حجز كمية من الأوراق من مال فلسطين.

وكرد فعل على مشروع التقسيم الذي نشرته الحكومة البريطانية في شهر جويلية 1937 لم يكتفي الحزب بالتنديدات الصحفية، فقد أشرف في إطار (لجنة الدفاع والإغاثة من أجل فلسطين) التي نظمت اجتماعات ضمت ما يقرب من ستين ألف جزائر مؤيدين لاحتجاج ضد المظالم الوحشية الصهيونية البريطانية وضد مشروع التقسيم، وكان ذلك في الحراش ودلس ورويبة وبوفريك. وفي هذه التجمعات استمع الحاضرين لتصريحات "مصالي الحاج" ومختلف الخطباء الآخرين حول المسألة الفلسطينية وتم التصويت على ما يلي:

- الاحتجاج ضد السياسة البريطانية الرامية إلى تأسيس وطن قومي لليهود على حساب المصالح العربية.
- توجيه نداء لجميع المسلمين الجزائريين ولجميع الأقطار الإسلامية للاحتجاج ضد التقسيم واستقلال فلسطين استقلالا تاما.

ثم قامت بعدها اللجنة برفع دعوتها إلى عصبة الأمم وأرسلت برقيات الاحتجاج إلى فلسطين ونشرتها في بعض الصحف العالمية. وفي مهرجان عنابة يوم 29 أكتوبر 1937 أعلن حزب الشعب الجزائري رفضه لمشروع التقسيم دعمه الكامل لفلسطين والتضامن معها. وفي سنة 1938 أقام الحزب اجتماعا شعبيا كبيرا في مدينة وهران، حيث ألقيت فيه الخطب، وقرر المجتمعون في نهايته الاتجاه نحو عصبة الأمم ووزير الخارجية الفرنسية احتجاجا على الأذى على الشعب الفلسطيني. وفي نفس السنة؛ وفي خارج الجزائر بباريس تم إنشاء (لجنة شمال إفريقيا لتضامن ومساندة الضحايا العرب الفلسطينيين) كان أعضاء الحزب من أبرز منشطيها.

واصل حزب الشعب دفاعه ودعمه لقضية الفلسطينية وإشادته بكفاح أبناء فلسطين ضد السياسة الاستعمارية البريطانية والعنصرية الصهيونية على لسان صحيفته (البرمان الجزائري) التي كان قد أصدرها سنة 1939 التي جاء في عدد الثاني ما

يلي: ((ما أروع الكفاح الفلسطيني ! لا عدد يذكر ولا مال، ولا سلاح، ولا وسائل حرب ولكن لديهم الإرادة والروح النضالية والإيمان بالقضية: قضية التحر من الإمبريالية والصهيونية العنصرية ...الحرب التي يخوضها الفلسطينيون هي حرب كرامة ضد الطغاة ... كفاح شعب ترجع جذروه إلى 25 قرنا، ويريد المحتل أن يعطيها إلى فئة غريبة عن هذا البلد ...شعب أنجب ابن العاص وصلاح الدين... إن مشروع التقسيم يضع الفلسطينيين تحت رحمة إنجلترا والصهيونية... لتعلم بريطانيا أن الفلسطينيين ليسوا مغفلين، وإذا أردت أن تسوي القضية فعليها أن تمنع الهجرة الصهيونية وبيع الأراضي ومنح فلسطين حكومة وكذلك إصدار العفو العام، ولتعلم بريطانيا أن وراء الفلسطينيين 400 مليون مسلم يساندهم في قضيتهم العادلة والمشروعة)).

المصادر والمراجع

(1) **الشهاب**، ج8، م5، (غرة ربيع الثاني 1348هـ – سبتمبر 1929م

(2) **الشهاب**، ج9، م5، (غرة جمادي الأول 1348هـ – أكتوبر 1929م)،

(3) سليمان بن رابح، **العلاقات الجزائرية العربية بين الحربين (1919. 1939)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2008-2007،

(4) ميلود فتاتة، **نظرة الحركة الوطنية الجزائرية لقضايا التحرر في المشرق 1930 – 1954 (مصر – سوريا – فلسطين)**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2007-2008.

(5) يوسف مناصرية،((**علاقة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأقطار المشرق العربي**))، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، تصدرها جمعية باتنة2، الجزائر، م 7 ع 14 – 2006،

(6) مازن صلاح أحمد مطبقاني، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1939)**، بحث مقدم كجزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب، لقسم التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الملك عبد العزيز، 1984-1985،

(7) عبد الكريم بوصفصاف، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931 . 1945)**، دار البعث لطبعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1981

(8) شار أندري جوليان، **افريقيا الشمالية تسير (القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية)**، تر: المنجي سليم وآخرون الدار التونسية للنشر، 1976،

(9) مصطفى هشماوي، **جذور أول نوفمبر 1954 في الجزائر**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر.

(10) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ج5.